

انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية

The Implications Of The American Revolution In Military Affairs For The Russian And Chinese Defence Policy



صبرينة جعفر

جامعة الجزائر 3، الجزائر، djaffar.sabrina@univ-alger3.dz

تاريخ الإرسال: 2019/09/18 تاريخ القبول: 2020/07/17 تاريخ النشر: 2021/01/01

ملخص:

تعتبر الثورة في الشؤون العسكرية إحدى أهم المواضيع التي تطرق إليها المنظرين الاستراتيجيين والمحليلين العسكريين عبر العالم، حيث بدأ الجدل بشأنها منذ التفوق العسكري الأمريكي في حرب الخليج الثانية عام 1991، وخروج أمريكا منتصرة عسكريا وسياسيا. وبما أن هناك منافسة استراتيجية دائمة بين الدول وبالخصوص القوى العظمى وخصوصا في الجانب العسكري فإن اكتساب التكنولوجيا العسكرية، المنظومات الدفاعية الأكثر حداثة وتطوير التفكير الاستراتيجي من خلال الانتصار في الحروب وفعالية في ردع المنافسين هي الأسس التي تبنتها كل من روسيا والصين. بناء على هذا تسعى الدراسة إلى وصف انتشار مضامين وأسس الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية في كل من روسيا والصين وعرض الاستراتيجيات المضادة التي تم تبنها لتحقيق التفوق الاستراتيجي.

الكلمات المفتاحية: الثورة في الشؤون العسكرية؛ سياسة الدفاع؛ القوة؛ الاستراتيجيات المضادة؛ تكنولوجيا المعلومات.

Abstract:

The revolution in military affairs is one of the most important topics addressed by strategic theorists and military analysts across the world, where the debate began about it since the American military superiority in the second Gulf War in 1991, and the exit of America victorious militarily and politically. Since there is a permanent strategic competition between countries, especially the great powers (on the military side) the acquisition of military technology, more modern defense systems and the development of strategic thinking through victory in wars and effective in deterring competitors are the foundations adopted by Russia and China. Based on this, the study seeks to describe the spread of the contents and foundations of the American Revolution in military affairs in Russia and China, and to present counter strategies that were adopted to achieve strategic superiority.

Keywords: RMA; Defence Policy; Power; Counter Strategies; Information technologies.

* المؤلف المرسل: جعفر صبرينة، djaffar.sabrina@univ-alger3.dz

مقدمة:

تعتبر ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية من بين أهم المواضيع التي تناقش في ميدان الدراسات الاستراتيجية بعد الحرب الباردة وبالتحديد بعد حرب الخليج الثانية التي من خلالها تم توظيف الجانب التقني والتكنولوجي ومنظومات ثورة المعلومات من طرف الولايات المتحدة الأمريكية التي جعلتها تتفوق عسكريا وسياسيا على باقي الأطراف كقوة عظمى بدون منافس.

في البداية كانت الثورة في الشؤون العسكرية حكرا للولايات المتحدة الأمريكية ومع مرور الوقت تم انتشار مضامينها لباقي الدول نتيجة التنافس الاستراتيجي من جهة بين القوى العظمى، وقيام هذه الأخيرة بالاستفادة من الحروب التي خاضتها أمريكا وإدراج الإصلاح الدفاعي على مستوى المؤسسات العسكرية مع ضرورة الترابط والتنسيق مع مركباتها العسكرية مثل الصين وروسيا كما قامت بإنتاج استراتيجيات مضادة للثورة في الشؤون العسكرية.

وعلى إثر هذا تسعى كل من روسيا والصين لتبني الثورة في الشؤون العسكرية عبر برامجها الدفاعية بواسطة تخصيص موارد مالية وبشرية في إطار عملية تحديث منظوماتها الدفاعية وإعادة مراجعة سياستها الدفاعية والأمنية في إطار التحول العسكري Military Transformation التي تقوم به لبناء جيش حديث قادر على الاستجابة لمختلف أنواع التهديدات الأمنية للقدرة على تحقيق الريادة والتفوق في المجال العسكري.

سيتم من خلال هذه الدراسة معالجة الإشكالية التالية: إلى أي مدى انخرطت كل من روسيا والصين في إطار المنافسة الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الأمريكية في تبني نموذج الثورة في الشؤون العسكرية (الأمريكية) وبلورة استراتيجيات مضادة لها ؟

المحور الأول: الإطار النظري للدراسة

سنتطرق في هذا المحور إلى الجانب المفاهيمي للثورة في الشؤون العسكرية و تطورها عبر الزمن لفهم تطور خاصية القتال، كما سيتم تناول تداعيات الثورة في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع التي من خلالها يمكن فهم قيام المؤسسات العسكرية بعملية الإصلاح العسكري نتيجة تطور الإبداع التكنولوجي في المنظومات الدفاعية.

أ. المسار التاريخي لتطور الثورة في الشؤون العسكرية:

يتطلب قبل وصف تطور الثورة في الشؤون العسكرية، تحديد مفهومها وأسسها للقدرة على فهم تطورها وفق المسار التاريخي. مصطلح الثورة في الشؤون العسكرية لم يكن شائعا في أدبيات المحللين الاستراتيجيين وأدبيات العلاقات الدولية، وبدأ يطرح ويستعمل بعد حرب الخليج الثانية 1991 نتيجة تأثير التكنولوجيات العسكرية على نظم القتال في الحروب الجديدة (Gray 2002 , p.69). وتعتبر البيئة الغربية (وبالتحديد الولايات المتحدة الأمريكية) المصدر الرئيسي الذي انبثق منه هذا المصطلح لينتشر بعد ذلك ويتم استعماله كأحد أهم المواضيع في المجال الاستراتيجي.

أما أندرو كريبنيفيش Andrew Krepinevich عرفها على النحو التالي : " ما هي الثورة العسكرية ؟ إنها ما يحدث عند تطبيق التكنولوجيات الجديدة في عدد مهم من الأنظمة العسكرية مع إبداع المفاهيم

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

العملية والتكيفات التنظيمية بطريقة تعدل بشكل أساسي خاصية وسلوك النزاع. إنها بذلك منتجة لزيادة مأساوية -بشكل كبير أو صغير- في القتال المحتمل و الفعالية العسكرية للقوات المسلحة" Krepinevich (1994,p.30)

أي بالمعنى البسيط أن الثورة في الشؤون العسكرية هي ذلك الإبداع العسكري على مستوى التكتيك، أو اختراع المنظومات العسكرية وإدخال المفاهيم الاستراتيجية الجديدة والتكيف والابداع في أرض المعركة لتحقيق نتائج استراتيجية لتحقيق الحسم عبر التفوق.

منذ القدم سعت الجيوش لتكون رائدة عبر تعديل سياستها الدفاعية للقدرة على اكتساب منظومات جديدة وبناء جيش محترف للقدرة على التكيف لكافة التهديدات الأمنية وفق معطيات البيئة الاستراتيجية في تحقيق الانتصار في أرض المعركة للتفوق على الجيوش الأخرى ليومنا هذا.

اختلف الباحثون في تحديد بداية ظهور الثورة في الشؤون العسكرية على المستوى التطبيقي في التاريخ الاستراتيجي ، فكانت دراسة مايكل روبرت Michael Roberts للثورات في الشؤون العسكرية (1550-1660) المنشورة عام 1956 الذي يرجع فيها نشأة الثورة في الشؤون العسكرية إلى عهد الحدائة الأولى في الامبراطورية السويدية خاصة خلال فترة حكم ملك السويد جوستافوس أدولفوس GustavusAdolphus ، و بعدها جاءت دراسة أخرى للثورات في الشؤون العسكرية وأكثر توسيعا في المجال الزمني من الدراسة السابقة لمايكل روبرتس من قبل المنظر الاستراتيجي جوفري باركر Geoffrey Parker في المدة الزمنية (1500- 1800).

كما نجد أيضا الدراسة التي قام بها كل من ماكغريغوركنوكس و ويليام موراي MacGregor Knox, Williamson Murray التي نشرت في كتاب تحت عنوان ديناميكيات الثورة العسكرية (1300-2050) وبعدها دراسة كولن غراي (2002) Colin S.Gray استراتيجية لأجل الفوضى : الثورات في الشؤون العسكرية والبرهان التاريخي الذي يرجع فيها جذور الثورة في الشؤون العسكرية في بداية القرن التاسع عشر مع الحروب النابليونية .

كما نجد أيضا العمل الأكاديمي الذي نشر من طرف ديما أدامسكي Dima Adamsky في 2010 تحت عنوان:ثقافة الإبداع العسكري: تأثير العوامل الثقافية على الثورة في الشؤون العسكرية في روسيا، الولايات المتحدة الأمريكية، وإسرائيل The Culture of Military Innovation: The Impact of Cultural Factors on the Revolution in Military Affairs in Russia, the US, and Israel. الذي يوضح من خلاله تأثير العامل الثقافي على مسار الإبداعات العسكرية وذلك بالتطرق للتاريخ الفكري للثورات في الشؤون العسكرية في كل من الولايات المتحدة الأمريكية، روسيا وإسرائيل باعتبار أن العامل الثقافي هو المحفز للإبداع العسكري ومنه بظهور الثورة في الشؤون العسكرية. بالإضافة إلى دراسات عديدة من بينها كتاب الثورات العربية في الشؤون العسكرية.

ب. الطروحات العملية و التطبيقية للثورة في الشؤون العسكرية :

يعود أصل انفجار الثورة في الشؤون العسكرية إلى ثورة البارود في القرن 15(10-5 p.2008) (Lorge) في القارة الآسيوية من طرف باحث كيميائي صيني، الذي قام بتجارب في مجال تخصصه حتى تم اكتشاف أول سلاح الذي أحدث ثورة في الشؤون العسكرية أي تغيير في أسلوب القتال والانتقال من مرحلة أخرى من خلال التخلي عن السيوف والوسائل البدائية التي كان يُعتمد عليها في القتال.

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

كما يعتبر دور الثورة الصناعية دافعا أساسيا في تطور وتسريع الثورات في الشؤون العسكرية نتيجة المكننة واختراع المعدات العسكرية مثل اختراع المحركات البخارية ومحركات الاحتراق الداخلي ؛ يطلق ألفين وهايدي توفلر على حروب الثورة الصناعية بحروب الموجة الثانية، و يعد الإنتاج الكثيف هو قلب الاقتصاديات الصناعية ، و أصبح الإنتاج الصناعي يحل محل الإنتاج الزراعي كما توازى الإنتاج الكبير مع الجيوش المحترفة كما قال المؤرخ بيل ر. ر. بالمير Yell.R.R بعد عام 1972 " بدأت موجة تجديد " تحدث ثورة في شؤون الحرب حلت محل "الحرب المحدودة " للنظام القديم وأصبحت الحرب غير محدودة الزمن. كما كانت الحرب قبل الثورة الفرنسية صداما بين الحكام ثم أصبحت صداما بين الشعوب(توفلر 2000، ص.ص. 73-74).

خلال الحرب العالمية الثانية، تم الاعتماد على المركبات القتالية المدرعة وتشكيلات الأسلحة المدمجة التي جعلت "الحرب الخاطفة" بحيث حققت الجيوش التي تبنت هذه الثورات وأتقنتها انتصارات مثيرة للإعجاب، على الأقل حتى قام خصومهم بنسخ أساليبهم وإحداث التوازن في أرض المعركة (Mansoor 2017).

تم اكتشاف تكنولوجيا الاتصال بواسطة الكهرياء واختراع التلغراف كما تم تطور وسائل النقل والمواصلات في الحربين العالمية الأولى والثانية من خلال استخدام السكك الحديدية وطرق التواصل مثل الراديو الذي ساهم في زيادة القدرة اللوجستية وسرعة التنقل ونقل المعلومة من خلال ربط القيادة بالقادة الميدانيين. بحيث سميت الحرب العالمية الثانية بحرب الدبابات، واستخدام الطائرات والغواصات.

تزامن انفجار الثورة الصناعية في أوروبا مع رغبة كل دولة لتحقيق السيطرة وتوسيع نفوذها إقليميا ودوليا وهذا ما دفع إلى زيادة التنافس في تطوير التكنولوجيا العسكرية التي تحدث فرقا استراتيجيا في أرض المعركة وترجيح ميزان القوة لصالح من يُجيد استخدامها.

بعد الحرب العالمية الثانية، تم تفجر الثورة النووية في الشؤون العسكرية بحيث دمرت الأسلحة النووية الأولى مدينتي هيروشيما وناجازاكي. كانت الأسلحة النووية أعظم إنجاز عسكري لمنظمة صناعية نتيجة قوة النار الساحقة والمدمرة عبر المشاريع والبحوث المتطورة في مجال الفيزياء.

بعد تفجير القنبلة الذرية من طرف الولايات المتحدة في اليابان عام 1945 في ناغازاكي وهيروشيما ساهم هذا في إحداث تغييرات كثيرة بسبب حجم الدمار الذي أحدثته القنبلة الذرية ، رغبة الدول في امتلاك السلاح النووي وتم التحاق كل من الاتحاد السوفياتي (1949)، المملكة المتحدة(1952)، فرنسا (1960)، الصين (1964)، لأنه حسب جون بيليس John Baylis: «ركز الدافع الاستراتيجي على الدور الذي لعبته الأسلحة النووية في سياق الحرب العالمية الثانية و ما أعقبها مباشرة وذلك حين اعتبرت أسلحة لخوض الحرب وكسبها وتحول الاهتمام بعد ذلك إلى الدور الذي لعبته هذه الأسلحة في مجال الردع» (بيليس وسميث 2005، ص.719) على الصعيد السياسي تم وقف الحرب العالمية الثانية، تأسيس منظمة الأمم المتحدة ، بروز الولايات المتحدة كقوة متفوقة وبالتالي إعادة هيكلة موازين القوى.

وأخيرا تم انفجار ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية بالاستعانة على ثورة المعلومات والاتصال، ورقمنة ساحة المعركة، و الاعتماد على القتال الشبكي المركز من خلال ربط ما يحدث في أرض المعركة مع مراكز القيادة والسيطرة.

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

تعتبر حرب الخليج الثانية أول تجسيدا لها من خلال استخدام أنظمة الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع المتطورة، الذخائر الموجهة بدقة، وطائرات الشبح والذخائر الذكية.

تركز ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية على وسائل الاعلام والاتصال، واستخدام الكمبيوتر بشكل رئيسي وتوظيف الجانب التقني والتكنولوجي كأساس لتحقيق التفوق المعلوماتي والسيطرة، بالاعتماد على نظام الأنظمة C4ISR والاتصال الشبكي بين أجهزة الاستشعار، المراقبة، الرادارات، الكمبيوتر ونظام القيادة والسيطرة. وهي آخر تطورات في مسار تطور ظاهرة الثورة في الشؤون العسكرية.

ج. انعكاسات الثورة في الشؤون العسكرية على عملية إصلاح السياسة الدفاعية:

ترتبط السياسة الأمنية لأي دولة بنوعية التهديد التي يمس سيادتها و وحدتها الترابية و مصالحها الاستراتيجية ، و لا يرتبط تحقيق الأمن عبر الاعتماد فقط على البعد العسكري بحكم توسع مفهوم الأمن، أبعاده ومستوياته (حسب الواقعيون الجدد و على رأسهم باري بوزان) إلا أن التفوق العسكري ،عبر زيادة ميزانية الدفاع و التسليح ، لا يكفي لتحقيق الأمن الشامل بل يستدعي مقاربة شاملة تشمل فيما توفر جميع الأبعاد : البعد الاقتصادي ، الاجتماعي ، العسكري ، الإنساني والسياسي بالرغم من أن البعد العسكري ما زال يحتفظ بالأولوية في بلورة السياسة الأمنية و الدفاعية لكل دولة.

يرتبط اكتساب مضامين الثورة في الشؤون العسكرية لكل دولة بالقرار السياسي (Henrotin2008, p.p. 257-271)، من خلال استعدادها للقيام بالتحول العسكري وبداية تجسيد برامج التحديث العسكري كاستجابة لمتطلبات عصر المعلومات الذي يفرض على الدول ضرورة الإصلاح العسكري نتيجة توسع دائرة التهديدات الأمنية بالانتقال من التهديدات الصلبة إلى التهديدات اللينة عبر الاختراق في الفضاء السيبراني من طرف فواعل مختلفة وتوسع مفاهيم الدفاع والهجوم في الحرب الالكترونية.

وبالتالي تبني نموذج ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية هو قرار سياسي ينعكس على بلورة سياسة الدفاع لبناء جيش حديث، من خلال إعادة هيكلة القوات المسلحة واقتناء المنظومات الدفاعية الأكثر حداثة للقدرة على التحكم والسيطرة وبناء جيش قائم على الاحترافية بعدد قليل وذات فعالية.

تحدد السياسة الدفاعية لكل دولة طبيعة و أنواع التهديدات التي تواجهها ، كما تحدد الموقف الاستراتيجي و الكيفية و الخيارات التي تتعامل بها الدولة مع التهديدات، كما تحدد سياسة الدفاع برامج التكنولوجيا، أولويات ميزانية الدفاع و تتمثل أهدافها في تحديد قدرات الاستعداد العسكري ، التنظيم العسكري، تحديد دور القوات المسلحة ، القيادة ، السيطرة ، التجسس، دبلوماسية الدفاع، القدرة الدفاعية (التكنولوجيا، العتاد، التنقل والخدمات اللوجستية)، التوظيف، الكفاءة المهنية ، العلاقات المدنية العسكرية، الاحتياط العسكري ، التجنيد الاجباري و تنظيم الجيش (مصباح 2018 ، ص. 69) كل هذا لتحقيق الأهداف السياسية و حماية سيادة الدولة و وحدتها الترابية من أي عدوان خارجي .

إحدى محركات الإصلاح الدفاعي عبر العالم هو ظهور ما يسمى بالثورة في الشؤون العسكرية خلال تسعينات القرن العشرين، التي أجبرت المنظمات العسكرية و الأمنية عبر العالم على ضرورة التكيف و التأقلم مع متطلباتها عن طريق الحصول على المساعدة الخارجية من الدول التي ظهرت و تحكمت في شروط و متطلبات هذه الثورة (مصباح 2018، ص. 70) سواء عبر التأثير المباشر بثورة المعلومات الأمريكية في الشؤون العسكرية

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

مثلما حدث مع الدول الأوروبية، أو بمتابعة تطور RMA الأمريكية من طرف روسيا والصين والقيام ببلورة استراتيجيات مضادة في الشؤون العسكرية .

أما فيما يخص دول الخليج، فهي تقوم باستهلاك بضائع ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية الغربية لتعزيز قدراتها العسكرية وهذا ما كلفها ميزانية خاصة مرتفعة إلا أنها وجدت عدة تحديات في توظيف هذه المنظومات نتيجة غياب عدة متغيرات من بينها: الثقافة الاستراتيجية، التاريخ، الدروس المستفادة من تجارب خوضها للحروب، طبيعة الجيش، العقيدة العسكرية وغيرها.

يعتبر الحديث عن التنافس في الثورة في الشؤون العسكرية التي تعتبر موضوع استراتيجي/عسكري بين (الولايات المتحدة الأمريكية ، الصين وروسيا) في القيام أساسا ببلورة استراتيجيات و استراتيجيات مضادة ، أو كما عبر عنه ديماسكي Dima Adamesky (ثقافة الإبداع العسكري: تأثير العوامل الثقافية على الثورة في الشؤون العسكرية) (Ademesky 2010, p.p. 5-15)، أي ثورة الأفكار في الشؤون العسكرية و التميز بالذكاء العقلي في توظيف الموارد و استخدامها بشكل مميز عملياتيا لتحقيق التفوق الاستراتيجي بواسطة منظومات ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية .

وبالتالي يعكس موضوع الثورة في الشؤون العسكرية أسس ومضامين المقاربة الواقعية/الواقعية الجديدة، التي تتركز أساسا على متغير الريبة و سمة الفوضى في السياسة الدولية، و سعي كل دولة في زيادة قوتها للحفاظ على أمنها. من خلال قيام كل من أمريكا، روسيا والصين في الاستثمار في التكنولوجيا العسكرية والابداع لتحقيق التفوق على الآخر. ظهر هذا من خلال تعديل سياسة الدفاع الروسية والصينية وتطوير عقيدتهما العسكرية للقدرة على تحقيق أهدافهم والحفاظ على مصالحهم الاستراتيجية.

المحور الثاني : إسقاط تداعيات الثورة في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع: روسيا، الصين نموذجا
سيتم في هذا المحور وصف انتشار الثورة في الشؤون العسكرية في كل من روسيا والصين وكيفية بلورتها استراتيجيات مضادة عبر تطوير تفكيرهما الاستراتيجي و تطوير المنظومات الدفاعية عبر تخصيص ميزانية مرتفعة خاصة للمشاريع العسكرية بهدف تحقيق التفوق والتميز و على الولايات المتحدة الأمريكية ومختلف منافسيها .

أ. تداعيات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية

يعود اختيار روسيا لأنها وريثة الاتحاد السوفياتي URSS التي كانت تعتبر المنافس الرئيسي في الحرب الباردة وخصوصا في الجانب العسكري والدليل على ذلك سباق التسلح التي كانت تقوم به كل منهما للتفرد في الهيمنة على النظام الدولي.

تعد روسيا عضو دائم في مجلس الأمن، كما تملك روسيا مركب عسكري صناعي تقوم من خلاله إنتاج و تصنيع المنظومات الدفاعية و القيام ببرامج التحديث داخليا و هذا ما ساهم في زيادة توسيع نفوذها الاستراتيجي سواء من حيث استقطاب الحلفاء و الشركاء، و الحفاظ كذلك على مستوى الردع إزاء الدول الغربية و في مقدمتها حلف الشمال الأطلسي و الولايات المتحدة الأمريكية.

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

كان موقف روسيا من الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على أنها نموذج استراتيجي في كيفية خوض الحرب لدولة مهيمنة، تحاول أن تنشر قيمها في الجانب العسكري على كل دول العالم لبلورة عقيدة عسكرية مشتركة في التعامل مع التهديدات وتحديد الأعداء.

قام بوتين بعدة برامج وإصلاحات منذ توليه الحكم لعودة روسيا من جديد إلى الساحة الدولية، و بهذا استعان بالمفكر الاستراتيجي المعروف ألكسندر دوغين Alexander DUGHINE (دوغين 2004، ص.ص. 5-35) في بلورة رؤية جيوسياسية لروسيا من خلال الاعتماد على الجيوبولتيك و كيفية استخدام الموارد و الإمكانيات لصالح روسيا . بدأت عملية الإصلاح العسكري وتطوير قدراتها العسكرية و القيام بتعديل عقيدتها العسكرية بعد حرب روسيا ضد جورجيا، كاستجابة لمتطلبات البيئة الاستراتيجية ودورها في الساحة الدولية و الإقليمية للحفاظ على مصالحها الاستراتيجية و أمنها القومي.

منذ أن بدأت إصلاح القوات المسلحة الروسية في عام 2008، أعطت موسكو اهتمامًا كبيرًا لتطوير قدراتها على حرب الشبكات. تضمنت عناصر هذا الإصدار من النهج الذي يتمحور حول الشبكة في العمليات القتالية تعزيز قدرة الحرب الإلكترونية (EW)، وتحديث البنية التحتية، وإصلاح الهياكل، وكذلك تعزيز وتبسيط القيادة والسيطرة، من بين الميزات الأخرى هو التركيز على مضاعفة القوة. جربت موسكو عمليات تتمحور حول الشبكة أثناء مشاركتها في الصراع المعقد في سوريا من خلال توظيف التكامل بين القيادة والسيطرة والاتصالات وأجهزة الكمبيوتر والمخابرات والمراقبة والاستطلاع (C4ISR) (McDermott 2018, p. 45) وهذا ما يجعل نموذج نظام الأنظمة System of systems الذي تقوم عليه ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية لا يخص فقط الجيوش الغربية بل تم انتقاله إلى الجيوش المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية بواسطة الإصلاح والتحديث العسكري التي تقوم به معظم الدول.

كان الهدف من الإصلاح هو إعادة بناء الجيش التقليدي وتحسين قدراته لخوض حرب تكنولوجيا المعلومات، ولهذا كان أول تجسيد لها في سوريا عبر استخدام أنظمة القيادة والتحكم مع عمليات الاستخبارات والمراقبة والاستطلاع وأنظمة الإطلاق C2 و ISR المدمجة في مجامع موحدة. (McDermott 2018, p. 45)

من بين الاستراتيجيات المضادة للثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية هو بلورة روسيا نموذج جديد في القتال ويدعى الحرب الهجينة Hybrid Warfare باعتباره يجمع بين القوة اللينة والصلبة بغرض توسيع السياق العسكري للدولة ككل.

تعتبر «الحرب الهجينة» مصطلح جديد في عالم الحروب الحديثة، وهي: «استراتيجية عسكرية تمزج ما بين: مفاهيم الحرب التقليدية، مفاهيم الحرب غير النظامية، والحرب الإلكترونية». و«الحرب الهجينة» يمكن أن تتضمن الهجوم بالأسلحة النووية والكيميائية والبيولوجية والإشعاعية.

حسب الرؤية الروسية، يتم استخدام القتال الهجين نتيجة تصاعد عدم الاحتكاك في البعد العسكري الغربي الذي يعتبر جوهر الثورة في الشؤون العسكرية عبر الاكراه الاقتصادي، التخريب السياسي و توظيف التحكم عبر السيطرة المعلوماتية لإضعاف وتحطيم المعنويات النفسية للخصم و خلق شروط التحكم بالفوضى للإطاحة بدستورية النظام السياسي القائم بواسطة الثورات اللونية. (Ruiz Palmer 2015, p.p. 7-8)

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

يتمثل الهدف الأساسي للحرب الهجينة في تحطيم قوة العدو وشل قدراته، وإنزال أكبر الخسائر في قواته، وهي تخالف تماماً القواعد والأسس المتعارف عليها في الحروب سابقاً، لأنها لا تسير وفق نهج ومبادئ القتال الرئيسية التقليدية التي تشكل الأساس الفكري لأغلب جيوش العالم، بل تعدت ذلك لتصبح شكلاً ونمطاً مغايراً لأنها تدمج القوات غير النظامية. (الزيداني 2014)

وبالتالي تقوم عمليات الحرب الهجينة على دمج مفهوم العمليات السائدة في الجيوش التقليدية و مفهوم حرب العصابات، وبالتالي فهي تتجاوز تحديات ثورة المعلومات في الشؤون العسكرية التي تعتبر فيها حرب اللاتماثلية تحدياً أساسياً للجيوش النظامية المتفوقة تكنولوجياً، إذن هذا النموذج الجديد الذي تعتمد عليه روسيا حالياً هو استجابة للتحديات التي عرفها الجيش الأمريكي في حروبه الأخيرة مثل العراق، أفغانستان وغيرها.

و بالتالي قيام روسيا بإصلاحات في سياستها الدفاعية من خلال القيام بالإصلاح والاستثمار في تطوير منظوماتها الدفاعية كانعكاس لتأثير نموذج الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية عليها، بالإضافة إلى تطوير تفكيرها الاستراتيجي من خلال محاولتها لتفجير ثورة جديدة في الشؤون العسكرية مرتكزة أساساً على الإبداع في خصائص القتال من خلال إدماج جميع القدرات والإمكانيات المادية والمعنوية لتحقيق النصر بشكل حاسم.

ب. تداعيات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الصينية:

تعتبر الصين عضو دائم في مجلس الأمن الدولي نتيجة اكتسابها للسلح النووي وبالتالي لها وزن في الساحة الدولية بخصوص قضايا الأمن، كما يعتبر الصعود الناعم الصيني من خلال الاعتماد على العملة الاقتصادية وتوسيع نطاق نفوذها عبر الشركاء والأحلاف، وقيامها مؤخراً بإنشاء مشروع طريق الحرير الذي علقت عليه معظم الدول بأنه مشروع القرن الواحد والعشرين التي تتطلع من خلاله الصين إلى أن تكون قوة عظمى محل الولايات المتحدة الأمريكية.

من حيث الثقافة الاستراتيجية، تختلف الصين عن أمريكا وروسيا أي تتجنب خوض الحروب لأن حسب إدراكها الحرب تستنزف قدرات وموارد الدولة وفي إطار الحديث عن هذا فهي تتبع أهم الأسس التي نادى بها المفكر الاستراتيجي الصيني سان تزو.

في إطار تحضيرات الصين للثورة في الشؤون العسكرية IT-RMA، ساعدت الآثار العسكرية العملية التي من خلالها تابعت الصين تطبيق الولايات المتحدة الأمريكية RMA أثناء قيامهم بحرب الخليج الثانية (1990-1991) ثم في كوسوفو (1999)، حيث قصفت الولايات المتحدة سفارة الصين في بلغراد نتيجة ارتكاب خطأ من طرف الجيش الأمريكي، ووصفت الصين هذه الحملات "عدم الاتصال" non-contact و "الحرب المعلوماتية"، على سبيل المثال، تم نشر مقال بعنوان "الابتكار النظري العسكري اللازم للتحضير لحرب المعلومات، حرب التكنولوجيا الفائقة"، الذي تم نشره من طرف بروفيسور في جامعة الدفاع الوطني الصينية عام 2003.

بدأت برامج تحديث الجيش الصيني منذ أزمة مضيق تايوان عام 1996 ظهر فيها الضعف النسبي للإمكانات العسكرية الصينية، تم تبني خطة للتغلب على نقاط الضعف في سلاح البحرية. فتم تطوير سلاح

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

الغواصات ليتحدى حاملات الطائرات التي تعد القوة الضاربة للبحرية الأمريكية. وحدثت نقلة للبحرية الصينية. (المنسي 2018)

فمن حيث الإدراك الصيني لثورة المعلومات في الشؤون العسكرية، شرح قاموس الشؤون العسكرية الصينية مفهومًا صينيًا خاصًا لتعريف التغيير الثوري في الشؤون العسكرية على أنه انعكاس لتغيرات نوعية في التكنولوجيا العسكرية، والأسلحة والمعدات، والبنية الأساسية للقوات المسلحة، والأساليب القتالية، والفكر العسكري والنظريات العسكرية. (مجلة المعركة 2012)

ولقد انتهى الفكر العسكري الصيني إلى حقيقة مهمة من خلال تفسيره لمفهوم التغيير الثوري في الشؤون العسكرية، وهي: "يجب على الصين أن تحدد لنفسها تكنولوجيا فريدة ومهارات تكنولوجية باللغة الرقي، ويجب على الصين ألا تتبع المنهج الغربي في التعامل مع هذه القضية، ولكن يمكن الاستفادة من الخبرات الغربية في مجال التطور التكنولوجي ومزجها بالتصور الصيني لهذا المفهوم."

يدخل تطور المفاهيم الاستراتيجية الصينية في إطار تطور الاستراتيجية العسكرية الصينية التي تم تغذيتها عبر الاستفادة من الدروس المستخلصة من الحروب التي خاضتها الولايات المتحدة مثل حرب فوكلاند، عاصفة الصحراء، الحملات حلف الشمال الأطلسي في البلقان، أفغانستان وحرب العراق 2003.

في عصر ثورة المعلومات، تستند الصين على مواجهة التهديدات داخل المنطقة وخارج حدود الصين على مفهومين رئيسيين في استراتيجيتها العسكرية هما الدفاع النشط والحرب المعلوماتية.

يعتبر مفهوم الدفاع النشط -وفقًا للاستراتيجية- أن الصين تتسم استراتيجية بالطابع "الدفاعي" لكنها عمليًا "تتسم بطابع "هجومى"، كما حددت الصين العناصر الأساسية لحرب المعلومات، المتمثلة فيما يلي: الهدف الأساسي للحرب هو مهاجمة منظومات القيادة والسيطرة للخصم، السرعة في القتال، تحقيق الأمن المعلوماتي، إرهاب الخصم وإرباكه من خلال التركيز على الهجمات الإلكترونية المتتالية ليل نهار كما ركزت على إنشاء قوات معلوماتية.

أصبحت الصين الآن في المقدمة في عدة مجالات، مثل صناعة السفن العسكرية والصواريخ المتوسطة المدى والأسلحة الأسرع من الصوت، حيث يمكن للصواريخ الأسرع من الصوت بخمسة أضعاف تحاشي أنظمة الدفاع الصاروخي. وتصنف أحدث شركاتها العسكرية في المراتب الأولى مع الشركات الأمريكية والأوروبية بالرغم من أنها حديثة لأن الصين تقوم بتصدير منظوماتها بأقل تكلفة وبتقليد من الدول الأخرى.

وبالتالي يمكن القول أن الصين تسعى لبلورة ثورة في الشؤون العسكرية وفق الأسس الصينية، أي بالاحتفاظ على مقوماتها الداخلية وتوسيع مصالحتها الخارجية في إطار الحفاظ على أمن طرقها البحرية والبرية من أي اعتداء بالإضافة إلى الاهتمام الجدي في بناء مركبات عسكرية صناعية لتصدير المنظومات الدفاعية لكل دول العالم. كما أن ميزانية الدفاع الصينية في تطور مستمر وسريع فهي تصنف في المرتبة الثانية بعد الولايات المتحدة الأمريكية بحوالي 200 مليار دولار.

ج) استنتاج عام حول تبني كل من روسيا والصين الثورة في الشؤون العسكرية

تعتبر الدول المنافسة للولايات المتحدة الأمريكية (الصين وروسيا) أن التفوق العسكري الأمريكي يهدد مصالحهما ونفوذهما الاستراتيجي وفي إطار التنافس الجيوستراتيجي، و نتيجة هذا قامت كلا منهما بتبني مضامين الثورة في الشؤون العسكرية من خلال الاستثمار في منظومات المعلومات والاتصال وربطها بالمنظومات الدفاعية.

كما انتهجت كل من الصين وروسيا استراتيجيات مضادة للثورة في الشؤون العسكرية و اكتسبت في نفس الوقت مضامين الثورة في الشؤون العسكرية إلا أن الاستراتيجيات المضادة التي تبنتها هذه القوى من خلال نموذج الحرب الهجينة التي تعتمد عليه روسيا و اعتماد الصين على مفهوم الدفاع النشط لحماية مصالحها في استراتيجية الطريق الحريري أدت إلى حدوث ما يسمى بالتوازن الاستراتيجي بين القوى.

استعادت روسيا على مكانتها في السياسة الدولية نتيجة تطوير تفكيرها الاستراتيجي، وتبنيها مضامين الثورة في الشؤون العسكرية من خلال تعديل سياستها الدفاعية وفق متطلبات عصر ثورة المعلومات.

كما ساهمت الإجراءات و التدابير المضادة التي اعتمدها روسيا في زيادة شدة الردع لمنافسيها، خصوصا حين أبرزت تفوقها في أوكرانيا نتيجة ضمها لجزيرة القرم من خلال اعتمادها على نهج جديد في القتال، واستمرار إبراز تميزها وفعالية منظوماتها في سوريا.

استفادت الصين من العولمة الاقتصادية (التي تعتبر استراتيجية غربية و بالتحديد أمريكية كآلية لزيادة نفوذها عبر الشركات متعددة الجنسيات و تفوقها في مجال الاستثمار) و تبنت مضامينها مع الحفاظ على خصوصياتها و هذا ما يجعل الصين تبني نفس الأسلوب في المجال العسكري من خلال صناعة منظومات دفاعية عبر التقليد و بواسطة تركيب مكونات يتم استيرادها من دول مختلفة، إلا أن هذا النهج الذي تتبعه الصين سيجعلها تهديدا للدول الأخرى و خصوصا الدول الغربية لأن الحديث عن التوازن العسكري ليس كنظيره الاقتصادي.

و بالتالي لم تبقى الثورة في الشؤون العسكرية محتكرة أمريكا و إنما تم انتشارها نتيجة العولمة و ثورة المعلومات و سرعة التطور التقني و التكنولوجي من دولة لأخرى إلا أن التنافس بين الدول في المجال العسكري مستمر و بشكل سريع نتيجة وجود منظمات و مركبات عسكرية صناعية ضاغطة.

و منه يمكن القول أن تطور الثورة في الشؤون العسكرية ما زال مستمر، كما أن الإبداع العسكري لم يعد مقتصر فقط للجيش النظامية و إنما توسع و أصبح يشمل التنظيمات اللاتماثلية، و بالتالي تسعى الدول لاكتساب أحدث المنظومات الدفاعية و إلى بناء جيش حديث محترف.

خاتمة:

ترتبط الثورة في الشؤون العسكرية (الحالية) بالتكنولوجيا العسكرية التي تركز على المنظومات المعلوماتية والقدرة على جمع المعلومات و معالجتها لاستخدامها بشكل جيد لتحقيق الأهداف السياسية، و في هذا السياق قامت كل من روسيا والصين لتطوير منظوماتها الدفاعية المعلوماتية لتنافس الولايات المتحدة الأمريكية.

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

يعد اكتساب مضامين الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية والاستفادة من التاريخ الاستراتيجي الذي يتعلق أساسا بفن الحرب وأسس القوة وكيفية توظيفها إلى زيادة قوة الدولة، وتوسيع نفوذها الاستراتيجي عبر مراجعة سياستها الدفاعية بما يستجيب بمتطلبات البيئة الإستراتيجية في عصر المعلومات وهذا ما سعت إليه كل من روسيا والصين .

وبالتالي تبني كل من روسيا والصين مضامين الثورة في الشؤون العسكرية وبلورة استراتيجيات مضادة لها ساهمت في زيادة قدراتها وفعاليتها العسكرية، وهذا ما أدى إلى زيادة شدة الردع التي تقوم بها كل منهما لمنافسها وللولايات المتحدة الأمريكية في المقدمة .

تقوم سياسة الدفاع والاستراتيجية الأمنية الشاملة الصينية والروسية على أن بيئة الأمن الدولي الحالية والمستقبلية، تتوجه نحو تعدد الأقطاب وهذا ما يؤكد على تقارب التفكير الاستراتيجي لكليهما باعتبار أن الولايات المتحدة الأمريكية الخصم والمنافس الرئيسي لكل واحدة منهما .

انطلاقا من معطيات الواقع واستمرار تعديل كل من روسيا والصين لسياستها الدفاعية عبر تطوير تفكيرهما الاستراتيجي واستمرارية إبداعهما العسكري في عصر ثورة المعلومات (بما يتناسب مع حماية مصالحهم الاستراتيجية وأهدافهما الجيوسياسية القائمة أساسا على التوسع وزيادة شدة التأثير)، يمكن أن نتوصل لنتيجة أن هناك تفوق مستمر لكل من روسيا والصين استراتيجيا .

وكاستنتاج يمكن القول أن وجود التنسيق والتبادل الدولي في مجال الأمن والدفاع مع الدول الغربية لا يمثل وحده تأثيرا على إصلاح سياسة الدفاع وفق معايير الثورة (الأمريكية) في الشؤون العسكرية وإنما في المجال العسكري تسعى كل الدول إلى اكتساب المنظومات الدفاعية الجديدة لكي لا تبقى في صنف الدول الضعيفة كما تعمل على تطوير قدراتها العسكرية وتطوير استراتيجيتها العسكرية للقدرة على تحقيق التفوق الاستراتيجي.

قائمة المراجع

أ. باللغة العربية

الكتب:

1. بيليس، ج. و سميث، س. (2005). عولمة السياسة العالمية. الإمارات العربية المتحدة: مركز الخليج للأبحاث.
2. توفلر، أ. ه. (2000). الحرب وضد الحرب. ترجمة: المشير عبد الحليم أبو غزالة. مصر: دار المعارف.
3. دوغين، أ. (2004). أسس الجيوبوليتيكا: مستقبل روسيا الجيوبوليتيكا. ترجمة: عماد حاتم. لبنان: دار الكتاب الجديد المتحدة.
4. مصباح، ع. (2018). نظرية العلاقات المدنية العسكرية: الحالات التطبيقية في التحليل الاستراتيجي. مصر: دار الكتاب الحديث.
5. مصباح، ع. (2017). تطور علم الإستراتيجية. مصر: دار الكتاب الحديث.

المقالات:

6. الزيداني، ص. أ. (11 جانفي 2014). الحرب الهجينة ... ثورة المفاهيم الإستراتيجية، مجلة المسلح (48)، تم الاطلاع عليه يوم 7 جويلية 2019 متوفر على الرابط : <http://www.almusallh.ly>

"انعكاسات الثورة الأمريكية في الشؤون العسكرية على سياسة الدفاع الروسية والصينية" صبرينة جعفر

7. المنسي، إ. (13 مارس 2018). العسكرية الصينية: التحولات الكبرى تبدأ دائماً من الجيش، تم الاطلاع عليه يوم 10 جوان 2019 متوفر على الرابط التالي: <https://www.ida2at.com>
 8. - (11 جويلية 2012). التأثير الاجتماعي والعسكري للثورة القائمة في الشؤون العسكرية، مجلة المعركة. تم الاطلاع عليه يوم 9 جويلية 2019 متوفر على الرابط التالي: <http://alma3raka.net>
- الرسائل الغير منشورة
9. خوجة، م. (2006). الانعكاسات العسكرية والسياسية للثورة الجديدة في الشؤون العسكرية. رسالة دكتوراه غير منشورة في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر 3.
- ب. باللغة الأجنبية

Books:

10. Ademsky, D. (2010). The Culture of Military Innovation: The Impact of Cultural Factors on the Revolution in Military Affairs in Russia, the US, and Israel. Stanford University Press.
11. Gray, C.S. (2002). Strategy of Chaos: Revolutions in Military Affairs and the Evidence of History. London: Frank Cass.
12. Henrotin, J. (2008). La technologie militaire en question. Le cas américain. Paris: Economica.
13. Lorge, P.A. (2008). The Asian Military Revolution: From Gunpowder to the Bomb. New York, NY: Cambridge University Press.
14. Parker, G. (1996). The Military Revolution: Military innovation and the rise of the West 1500-1800.UK and USA: Cambridge University Press.

Articles:

15. BRAILLARD, P. et MASPOLI.G(2001). La Révolution dans les Affaires Militaires : paradigmes stratégiques, limites et illusions, Workshop 25 : Théories de la guerre, ECPR Joint Sessions of Workshops Grenoble.
16. Krepinevich, A. (1994). From Cavalry to Computer: The Pattern of Military Revolutions. The National Interest
17. Mansoor, P.R. (15 March 2017) The Next Revolution in Military Affairs. Reviewed (4 December 2018) URL: <https://www.hoover.org>
18. McDermott, R. (2018). Russia's Network-Centric Warfare Capability: Tried and Tested in Syria. Eurasia Daily Monitor (15)
19. O. Hundley, R. (1999) Past Revolutions, Future Transformations: What Can the History of Revolutions in Military Affairs Tell Us About Transforming the U.S. Military?. USA:Rand Corporation.
20. Ruiz Palmer, D.A. (2015). Back to the future? Russia's hybrid warfare, revolutions in military affairs, and cold war comparisons. NATO defence College (120).